الفصل السادس

المبحث الأول

الحكومة العالمية

عام١٥٢٠ ـ ١٩٠٦ م دعا الحاخام ليغا من براغ إلى اتخاذ فلسطين وطناً لليهود ، وأعقبه المحامي موريس هس ١٨١٨ ـ ١٨٧٥ م الذي أصدر كتابه روما والقدس ١٨٦٢م وقال: «إن اليهود مدعوون مصيرياً لتحويل العالم» ، كما كانت فكرة حاخام بولونيا «تسفي هرش كاليشر» ١٧٩٥ ـ ١٨٧٤م مطالب صهيون انتشار مستعمرات زراعية في فلسطين مع فكر المفكر موريس هيس في كتاب روما والقدس نظرة قومية يهودية تقوم على الدين والعرف «الجنس اليهودي» وكذلك اليهودي النمساوي «ناثان بيريتاوم» ١٨٦٣م ليصف الحركة السياسية الداعية لتهجير اليهود إلى فلسطين بالصهيونية.

وتأسست في الولايات المتحدة بين عامي ١٨٠٠ ـ ١٨٤٠ م حركة يهودية تروِّج لعودة اليهود لفلسطين عن طريق الاستيطان وبغطاء ديني ، كما كان هناك حديث عن حصن للديمقراطية والمجتمع المثالي في الشرق الأوسط ، وبدأت الصهيونية المنظمة وحركة أحباء صهيون تحت زعامة ليونيسكو ١٨٢٠ ـ ١٨٩١م التي أنشأت أول مستعمرة في فلسطين ١٨٦٠م وكذلك الصهيونية العلمية التي تزعمها بن غوريون ١٨٥٦ ـ ١٩٢٢ م مع حركة أحباء صهيون التي تقوم على العمل في أرض الميعاد وإنشاء المستوطنات والمعسكرات.

ـ ثم الصهيونية العالمية ويتزعمها ليونيسكو يهودي عام ١٨٦٥ ـ ١٩٠٤م.

ـ الصهيونية الثقافية حيث أعلن أن وجود أمة يهودية بخصائصها المتأصلة هو ما يحقق الإنسان الأكثر كمالاً.

ـ اتفق اليهود مع الكنيسة البروتستينية على أن يؤمن النصارى بإله إسرائيل وبوعده لليهود في فلسطين.

ـ واستغل اليهود الوضع بأنهم جالية تضم عدة ملايين إذا تعرضوا للاضطهاد «كما جرى في ألمانيا والمغرب» فلا بدّ من ملجأ آمن لهم يلجؤون إليه هو فلسطين.

وبدأت الهجرة تتوارد إلى فلسطين من روسيا ، إذ بدأت اضطهادات اليهود بالمدن الروسية لمشاركتهم في اغتيال القيصر «الإسكندر الثاني» لتزعّمه الكنيسة الأرثوذكسية في الشرق على الأرض المقدسة ، وبدأ توطين المستوطنين في قرى الجليل لإقامة مجتمع زراعي «كيبوتس» ، كما بدأ تنظيمهم عسكرياً ١٨٦٢ م كقوة هاكانا ، وهذه الموجة تسمى موجة «الباهو» ، وفي عام ١٨٩٧ م عقد أول مؤتمر صهيوني في بازل بسويسرا وتم فيه تأسيس المنظمة العالمية وهيكلها التنظيمي وحددت شروط العضوية ، وقد ترأّس المؤتمر اليهودي هيرزل وانبثقت عنه المنظمة الصهيونية ، ثم في عام ١٩٠٢ م ظهرت الجمعية الصهيونية الدولية وقد وضعت الخطة لاستقطاب اليهود للمشروع وكسب التأييد الدولي للحكومة العالمية.

أوضح هيرزل في المؤتمر الذي تبنّاه أنّ هدف الصهيونية هو خلق وطن في فلسطين للشعب اليهودي يضمنه القانون العام الدولي[1] ، ووضعت الخطط للتنفيذ في الاتجاهات:

١ ـ دفع اليهود للهجرة إلى فلسطين.

٢ ـ البحث عن الشرعية الدولية التي تساعد على الاغتصاب.

٣ ـ والقوة الدولية التي تحميها «تحمي الاغتصاب».

٤ ـ تأسيس بنك يهودي لهذا الغرض ، وتأسّست معه جمعيات تُذْكي هذه الروح.

---

(١) كتاب تهويد فلسطين ، وكتاب ماليسون جونيورص ٧٨.

ـ لقد كانت العقبات التي تعترض إقامة هذه الحكومة العالمية هي :

١ ـ الدولة العثمانية «الإسلامية» التي رفضت مساومتهم .

٢ ـ الدولة الروسية زعيمة الكنيسة الأرثوذكسية التي تدَّعي الوصاية على الأرض المقدسة .

٣ ـ الدولة الألمانية التي استعصت عليهم بسبب وعي هتلر لدور اليهود في نهب خيرات بلاده .

٤ ـ انسحاب بريطانيا من عضوية جمعية الأمم التي أوجدها الماسون .

* * *

المبحث الثاني
الخطط اليهودية

ـ وقد تمّ في المؤتمر وضع الخطط لتجاوز هذه العقبات وتأمين الوصول إلى الاستيطان المطلوب ، كما يلي :

١ ـ بالنسبة للدولة العثمانية : عاشت الأقليّة اليهودية في أستنبول وسالونيك وآسيا الصغرى وسورية وفلسطين ، وسمح لها ببناء معبد على جبل صهيون قرب القدس التي يعتقد اليهود أن النبي والملك داوود عليه السلام هو من هناك «مزامير داوود ١١/٩ رنموا للرب الساكن في صهيون» ، ثم إن السلطان العثماني عبد الحميد رحمه الله اكتشف ألاعيبهم ، إذ كانوا يروّجون الشائعات حول السلاطين الذين كانوا يعاملونهم بتسامح الإسلام بينما هم يرسلون إلى الصحف الأجنبية الأكاذيب عن السلطة ، وينشئون المحافل الماسونية ، كما أوعزوا لفئة من يهود سالونيك «الدونمة[١]» بالدخول بالإسلام لاستلام

---

(١) الدونمة : هم أتباع ساباتي اليهودي ، ولد ساباتي في أزمير ، ادعى أنه المسيح المنتظر وكان عمره ٢٢ سنة ، زار مصر عام ١٦٤٢ م وزار فلسطين عام ١٦٤٤ م ، وعاد إلى أزمير ، فجاءته وفود يهودية ، ووزع أتباعه ليقيم بالقدس ، وكان له في ٣٨ بلداً في العالم(قسّم العالم إلى ٣٨ جزءاً) ملك يعينه ، وبقي أمره مستوراً إلى أن أعلن رجل آخر اسمه «كوهين» أنه المسيح المنتظر ، فوقع الخلاف بينهما ، مما حدا بكوهين أن يشتكي للدولة أنّ ساباتي يعمل ضد الدولة ويدعو لإقامة دولة يهودية في فلسطين ، فألقي القبض على ساباتي ، وحُكم عليه من كبار علماء المسلمين في الدولة العثمانية بالإعدام ، ولما شعر بحقيقة الأمر خاف وادعى الإسلام وأظهر التوبة والندم ، واختار اسم «محمد البواب» ومنحه السلطان لقب رئيس البوابين ، لكنه بقي في داخله يهودياً .
وإظهاراً لندمه : قام بخدعة وهي أن طلب من السلطان أن يسمح له بدعوة اليهود إلى الإسلام ، فكان بذلك يجتمع باليهود ليتابع أمره ، وأظهر اليهود الإسلام من الخارج ليهدموه=

المناصب بصفتهم مسلمين ، كما كانوا يشكّكون في الداخل برجال الدين فيسفّهون آراءهم ويفرضون عليه إرهابهم وسمومهم ، وينشئون الجمعيات والأحزاب المعادية للإسلام «كحزب الاتحاد والترقي ، وحزب تركيا الفتاة» والتي تأتمر بإمرة المحافل الماسونية ، ويكون زعماء هذه الأحزاب من الماسون.

كلّ ذلك لنشر الفساد الاجتماعي والسياسي والأخلاقي ونشر الإباحية لتفتيت وحدة الأمة الإسلامية ، مستغلّين: الأقلّيّات كطابور خامس وأداة تخريب ، والترويج للتعصب القومي المقيت الذي يرفضه الإسلام.

وعلى كلّ من يقاوم فسادهم أن يحمل ما لا يحمل من تلفيق التهم إليه بالانتساب لجمعية سرية مناهضة للسلطة وتقديم شهود زور ، وبذلك يصبح عبرةً لغيره الرافضين لمخططاتهم ، أو يحيكون مؤامرات لقتل أو خطف أو إبعاد كل مخلص لأمته ودينه مناهض لهم ، وعليه فقد استطاعوا أن يجرّدوا السلطان عبد الحميد من أنصاره ، وأن يقوموا بانقلاب عليه وهو العقبة الكبرى ، مستخدمين يهود الدونمة «الضباط» أمثال «كمال» الذي لقبوه «أتاتورك» زوراً ، أي: أبو الأتراك ، وهو الذي خرب البلاد وأفسد العباد وكان سبباً في قتل ٦٠٠٠٠ ضحية بريئة ، عدا الذين قتلهم يهود مكدونيا إذ تسببوا في قتل ٣٠٠٠٠٠ أرمني واتهموا فيهم الدولة العثمانية.

لقد عرض هيرتزل والوفد اليهودي «مزراحي زعيم يهود سالونيك ،

= من الداخل ، فصاروا يدخلون المساجد ويظهرون الالتزام بالصلاة والصوم ، وهم ثلاث فرق: (١ ـ البعاقية ، ٢ ـ القراقاشية ، ٣ ـ القبانجية) ، وهذه الأخيرة دخلت في حزب الاتحاد والترقي الذي يخطط للانقلاب على الدولة العثمانية ، وكان لهم لغتان: اللغة التركية للتفاهم مع المجتمع التركي ، واللغة الإسبانية للتفاهم فيما بينهم ، وكان لهم دور كبير في الانقلاب على السلطان عبد الحميد ، ولهم صحف مثل(حريت ، كون إيدن «صباح الخير» ، جمهوريت ، ترجمان «وهي أكبر الصحف التركية» . .).
وكلها تدعو لإقامة دولة إسرائيل ودعمها ومحاربة العرب ومحاربة الإسلام والمسلمين ، وتدعو للاختلاط ، وللتفلّت من القيم والدين.

وجاك ، وليون من الدونمة» بحضور رئيس وزراء السلطان عبد الحميد رحمه الله ، عرضوا على السلطان ما يلي :

١ ـ تقديم ١٣٣ مليون ليرة إنكليزية لوفاء ديون الدولة العثمانية .

٢ ـ بناء أسطول بحري للدولة العثمانية بـ ١٢٠ مليون فرنك سويسري .

٣ ـ تقديم قرض بـ ٣٥ مليون ليرة إنكليزية «ذهب» دون فائدة لإنعاش ميزانية الدولة العثمانية .

كل ذلك مقابل السماح لليهود ببناء مستعمرة قرب القدس ، والسّماح لليهود بالدخول إلى فلسطين في أي وقت .

وقد رفض السلطان عبد الحميد رحمه الله ذلك العرض ، وبإيمان الرجل المسلم بصق في وجه زعيمهم .

وعندما استلم حزب الاتحاد والترقي العلماني الحكم بعد الانقلاب على السلطان عبد الحميد رحمه الله ، قَبِل الحزب خيانة أمة الإسلام وقَبِل العرض المذكور بقيمة مليون ليرة فقط لتنفيذ المطلوب[١] .

إنّ جميع الأخطاء التي ارتكبت من قبل الدولة العثمانية في البلاد الإسلامية هي وليدة دسّ الماسون واليهود في السلطة .

وكذلك الأخطاء التي ارتكبها العرب «كعمل حسين بن عون الذي ادعى أنه شريف مكّة واتّفق مع بريطانيا لعمل ثورة عربيّة؛ لطرد العثمانيين من بلاد الإسلام (العرب) مقابل تنصيبه ملكاً على بلاد العرب» فهي ناجمة أيضاً عن تحريض اليهود الذين خانوا العرب وحسين وأوقعوه نتيجة جهله في وهم السلطة والحكم .

لقد قال الرئيس الأمريكي للمنظمة الصهيونية : «ما من أحد يخفق قلبه فرحاً مثل قلب الصهيوني بسبب انقلاب تركيا الذي قام به حزب تركيا الفتاة ، وسقوط الخلافة الإسلامية» .

---

(١) كان السلطان عبد الحميد صاحب حكمة وبراعة في إدارة الأمور .

وهكذا تآمر على الخلافة الإسلامية العرب المغفلون ، وحزب الاتحاد الطوراني التركي ، وبريطانيا وفرنسا ، وعملاء الماسون واليهود.

٢ ـ في إزاحة روسيا القيصرية: «كونها تتزعم الكنيسة الأرثوذكسية وتدَّعي الوصاية على الأرض المقدسة» ، لقد تمكن اليهود من القضاء على الكنيسة الأرثوذكسية والقيصرية وإخضاعهما لمشيئتهم عندما أقاموا الثورة البولشيفية ، ففي التحضير لها انعقد عام ١٩٠٧ م في لندن المؤتمر الشيوعي ، ويضم المنظمات الشيوعية في مختلف البلاد ، ويضم ٣٣٦ مندوباً منهم ٢٢٠ يهود ، وكانت البيوتات المالية الكبيرة الرأسمالية هي الممولة وخاصة المليونير اليهودي «جاكوب شف» وكذلك اليهودي ماكس وأربورك ، وكانت المهمة هدم النظام القيصري المعادي لليهود ، فقد اجتمع حاييم وايزمان زعيم الحركة الصهيونية عام ١٩١٦ م مع لينين قبل الثورة لبحث مخطط تعويض الدولة القيصرية حيث قال لينين اليهودي:

«سوف تحقق الثورة في روسيا للشعب اليهودي ما عجزت عنه الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م» ، كما أكّد وايزمان أنّ فتح أبواب الشرق واستقرار اليهود يتوقف على تدمير الدولة العثمانية؛ لتزول الحواجز والعقبات التي تعترض المسير لأرض الميعاد ، ولا بد من تحقّق هذين الأمرين من أجل إنشاء دولة يهودية في فلسطين.

ـ وبعد نجاح الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧ م قام لينين بأول عمل وهو:

إصدار قرار تحريم العداء لليهود ، كما أصدر إعلاناً يعد فيه بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، في الوقت نفسه الذي أصدر فيه بلفور «وزير خارجية بريطانيا» وعداً بإقامة وطن لليهود في فلسطين.

* أما كارل ماركس مدّعي الشيوعية الذي كان يهودياً صهيونياً وله كتاب باسم «المسألة اليهودية»[1] يفضحه للمغفلين ، فقد كان على اتصال مع «موشي

---

(١) كان للمسلمين معاناة في روسيا عندما وعدتهم الشيوعية بالحماية إذا لم يعارضوا الثورة ، ثم جاء ستالين ونكص بوعده عندما استتب له الأمر ، وكذلك نكصت نارين القيصرية بتعهدها=

هيش» فيلسوف الصهيونية الأول وصاحب كتاب «الدولة الصهيونية» والذي يعتبر القدوة والعبقري ، كل هذا تطبيقاً لما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون التي وضعت أسس هذه الأفكار.

ـ كذلك قامت الأحزاب الشيوعية في جميع البلاد بالعالم على العنصر اليهودي.

* ففي ألمانيا قاد الحزب الشيوعي «روزا لوكسمبورغ» اليهودية البولونية ، ولكن ثورتها فشلت وسحقت وأعدمت روزا.

* وفي هنغاريا قام «بيلالون» اليهودي يتزعم الثورة عام ١٩١٩ م والتي أدت إلى ضحايا بالألوف وقتل زعيمها ، وكذلك في كل من رومانيا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا.

ـ أما في بلاد المسلمين فقد دخلت الشيوعية عن طريق اليهود بشكل مباشر أو غير مباشر.

* ففي المغرب أسس «ليون» السلطان اليهودي عام ١٩٤٣ م الحزب الشيوعي ومعه أبراهام السرفاني و شمعون ليفي «وكلهم يهود» حزب التقدم والاشتراكية.

* كما أسس يعقوب كوجيمان و ساسون دلال اليهوديان الحزب الشيوعي العراقي وقد توليا قيادته.

* كما أسس «هلل شغارتس» اليهودي في مصر منظمة «الايسكر» ، و«مرسيل إسرائيل» اليهودي منظمة «الشعب الماركسي» ، كما أقام اليهودي الإيطالي «كورنل» الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني في مصر ، وكذلك اليهودي الروسي «أنجور» فقد انتدبه المادفترن لتأسيس الحلقات الماركسية في مصر.

= حماية المسلمين إذا رضوا بالحكم الروسي وأن تتخلى عن جزيرة القرم وتترك شعوبها حرة ، ثم أصدرت في ٨/ ٤/ ١٨٧٣م منشوراً تقول فيه: إنها في حِلّ.

* وفي سورية اعترف رفيق رضا أن تأسيس الحزب الشيوعي السوري اللبناني بتمويل يهود ، وكان اليهودي «مرنبو» شيوعياً من فلسطين مستشاراً لقيادة الحزب الشيوعي السوري اللبناني ، وجاك تيسير الشامي يهودي روسي الأصل من فلسطين أسس الحزب الشيوعي السوري.

* وكان أبو زمام يهودياً وهو شريك تيسير الشامي اليهودي في توجيه الأحزاب الشيوعية السورية واللبنانية وتزعّم الحزب الشيوعي في فلسطين.

ـ إن إقامة دولة يهودية في فلسطين ارتدت ثياباً لاهوتية وثقافية وحضارية وإنسانية محورها حل مشكلة اليهود المضطهدين ، فنابليون بونابرت يلقب بمؤسس الدولة اليهودية ١٧٩٧ م ، ثم اللورد شافسيزي الإنكليزي ١٨٤٠ م دعا إلى زرع اليهود في أرض آبائهم وذلك في مذكرة لوزير الخارجية البريطانية ، كما أن الكولونيل «تشارلز تشرشل» الذي أجبر خديوي مصر محمد علي على الانسحاب من فلسطين كان قد كتب رسالة إلى مونتفيوري عام ١٨٤١ م؛ لإعادة توطين اليهود في فلسطين ، وأعيد الاقتراح عام ١٩٤٩ م بإقامة مستوطنات يهودية بدعم إنكلترا ، لقد كانت بريطانيا مستميتة في إيجاد حركة صهيونية ، وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية كانت تعطف على هذه الفكرة ، إذ تلقّى قنصل الولايات المتحدة في تونس عام ١٨١٨ م رسالة من الرئيس الأمريكي جون يقول فيها: «إني أرغب حقاً في رؤية اليهود ثانية في أرض يهود كأمّة مستقلّة». كلّ ذلك في البحث عن الديمقراطية أو المجتمع المثالي في الشرق.

* * *

المبحث الثالث

الصهيونية

تنسب إلى جبل صهيون قرب أورشليم ، كان عليها حصن أقامه اليبوسيون باسم صهيون قبل دولة داوود وسليمان بآلاف الأعوام.

وأطلق هذا الاسم على منظمة إرهابية أسسها يهود روسيا باسم أحباء صهيون «عشاق صهيون» كانت تقوم بحركات سرية ضد القيصرية الروسية ، ثمّ اتخذت هذه المنظمة ذريعة اضطهاد اليهود لتأسيس حركة تهدف إلى إنشاء وطن قومي لليهود غايته استعمار فلسطين وإنشاء وطن قومي لليهود فيها ، وكان رئيس هذه المنظمة «تيودر هرتزل» الذي عقد مؤتمراً في بازل بسويسرا ١٨٩٧ م لهذه الغاية وهي:

١ ـ خلق وطن قومي للشعب اليهودي يضمنه القانون الدولي.

٢ ـ العمل على استعمار فلسطين بوساطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود.

٣ ـ تنظيم اليهودية العالمية وربطها بمنظمات محلية ودولية تلائم القوانين المتبعة في كل دولة بالعالم.

٤ ـ تقوية الوعي والشعور القومي لليهود وتغذيتهما.

٥ ـ اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على الموافقات الحكومية الضرورية لهذه الغاية.

٦ ـ اعتبار اللغة العبرية اللغة الرسمية للتخاطب بين اليهود في جميع أنحاء العالم ، وتنفيذاً لهذا القرار فقد وضع الحاخام ابن يهودا ١٩١١ م لغة عبرية

حديثة يمكن استخدامها ليهود العالم الذين يودون الهجرة إلى فلسطين.

وأصبحت هذه الفكرة تحتل طابعاً استعمارياً صرفاً ذا صبغة سياسية قائمة على ادّعاء باطل وعلى الخداع والتضليل.

كان أوّل من اجتذبته فكرة استعمار فلسطين على يد اليهود هو نابليون بونابرت متأثراً بكتاب قدمه «دي لينيه» إلى إمبراطور النمسا عام ١٧٩٧ م، حيث أشار إلى إصلاح شأن اليهود وإعادتهم إلى مملكة يهودا إذ يقول: «فإنهم سيجعلونها بلاداً عامرة مزدهرة بالزراعة والصناعة والفنون والتجارة على الأساليب الغربية، ويجددون هيكل سليمان ويستخدمون المياه والأمطار والمجاري لري الحقول والمزارع وينشئون القنوات والترع للملاحة».

فخطّط نابليون لتحقيق حلمه بإنشاء إمبراطورية في الشرق بعد غزو فلسطين عام ١٧٩٩ م، فوجّه نداءً لجميع اليهود في العالم يحثهم على الانضمام إلى لوائه لإعادة بناء مجد إسرائيل الضائع في القدس، واعتبرهم الورثة الشرعيين لفلسطين، ولكنه فشل عندما اندحر جيشه أمام حصن عكا الحصين، فاضطر لترك مصر والعودة إلى فرنسا رغم أنه انتصر في أبو قير «بمصر».

في بريطانيا: بعد فشل فرنسا أخذت الدول الاستعمارية تحاول تحقيق ما حلم به بونابرت من استغلال اليهود «الصهيونيين» لاستعمار فلسطين، ففي عام ١٨٣٨ م قابل «مونتو فيدري» محمد علي باشا والي مصر بصفته حاكماً لمصر وسورية «التي تتبعها ولاية فلسطين» وعرض عليه أن يؤجر لليهود من ١٠٠ ـ ٢٠٠ قرية عربية مقابل ١٠ ـ ٢٠٪ من قيمة الإيجار تدفع في الإسكندرية لمدة ٥٠ سنة، ووافق الخائن على ذلك وأصدر الفرامانات «القوانين» المصرية لذلك، وكان دور القنصل البريطاني في القدس حماية اليهود، ولكن نتيجة الحرب التي نشبت بين محمد علي والدولة العثمانية ومعاهدة الصلح التي فرضها الغرب على محمد علي في ٥/ ٩/ ١٨٤٠م فقد تنازل عن سيادته لسورية «ومنها فلسطين» مقابل أن يكون حكمه لمصر وراثياً.

في القرن التاسع عشر أنشأت في بريطانيا الشركة «الكولونيالية السورية

الفلسطينية» لفرض استعمار سورية وفلسطين والبلدان القريبة.

وفي إنشاء شركة قناة السويس ١٨٧٥ ـ ١٨٩٦ م حيث تم لدزرائيلي شراء شركة القناة في توجه بريطانيا السياسي نحو فلسطين لصالح اليهود «الصهيونية».

في ١٩٠٧ م قدمت لجنة الاستعمار إلى وزارة المستعمرات البريطانية تقرير «كاميل بتر من» ، وهو ينص على إقامة حاجز بشري قوي وغريب عن الجنس الذي في المنطقة التي تربط آسيا بأفريقيا «فلسطين».

ـ استعمار العريش: بعد فشل هرتزل بإقناع السلطان عبد الحميد بهجرة اليهود إلى فلسطين فكر هرتزل مع الحكومة البريطانية المتعاطفة مع الحركة الصهيونية باستعمار العريش وشبه جزيرة سيناء كبداية لتحقيق المشروع «استعمار فلسطين» ، جعل من مدينة لندن ١٩٠٢ م المقر المالي للحركة الصهيونية ، وقد لاقى ذلك من الحكومة البريطانية ورئيس وزراء مصر تأييداً ، إلا أن الفكرة فشلت عند دراسة طريقة ري الصحراء من مياه النيل من قبل الخبراء.

ـ في العراق: في سنة ١٩٠٧ م أوفدت جمعية التوطين اليهودي L.C.A ومقرها لندن ، وبالتعاون مع جمعية «الاتحاد الإسرائيلي» في باريس: أوفدت اليهودي الفرنسي «نييغو» إلى بغداد لدراسة موضوع التوطين ، فاقترح توطين ٥٠٠٠٠ يهودي روسي وبولوني ، فأيد المشروع وزير مالية تركيا «أجاويد» ولكن السلطان عبد الحميد رفضه ، وتسلم الملك فيصل الأول ابن الحسين خلال زيارته إلى لندن ١٩٣٣ م اقتراحاً بتوطين ١٠٠٠٠٠ يهودي في دجلة السفلى ، وعرض على الحكومة العراقية تسهيلات وقروضاً ، وأحال هذا الطلب للحكومة العراقية[١].

استخدمت بريطانيا الخداع في دخولها الحرب العالمية الأولى والقضاء

---

(١) العراق في مذكرة الدبلوماسيين الأجانب ـ ترجمة نجدت فتحي صفوة ١٩٦٩ م ص ١٢٣ ـ ١٢٤.

على التحالف العثماني ، فخدعت المغفلين من العرب مثل حسين بن عون ليعلن الحرب على الدولة العثمانية باسم الثورة العربية على أن تُصيّره ملكاً ، وقد عمل بوحي بريطانيا التي عينت له «لورنس» وهو ضابط إنكليزي ليحرك جيشه الأول باسم فيصل بن الحسين ، كما عينت الضابط البريطاني «جون كلوب» ليحرك جيش عبد الله بن الحسين واللذين استغلا العرب أبشع استغلال لقطع الروابط الإسلامية ، فدمرا خط السكة الحديدية الذي يربط الأمة الإسلامية ويوحدها ويسهل الحج ، وغير ذلك.

وهكذا حقق اليهود عن طريق بريطانيا مرحلة تمهيد السبيل لتحقيق خططهم وخاصة لإنجاح الحلفاء.

٣ ـ وضعت خطة التنمية للمشاعر والوعي اليهودي لدى كل فرد يهودي في أيّ بقعة من العالم ، فصار تعداد اليهود المنقولين إلى فلسطين من رُوسيا وبولونيا عام ١٩٠٤ م خمسين ألف يهودي ، والهدف النهائي إيجاد وطن قومي لليهود عن طريق الاستعمال بالعمل الزراعي من العمال اليهود الراغبين بذلك ، ووضعت خطة لتنظيم اليهود بالعالم بمنظمات محلية «وطنية» ودولية تتماشى مع القوانين المحلية المتبعة ، أو تطوير قوانين تلك البلاد لهذه المهمة ، كما اتخذت الخطة الملائمة لوضع المواثيق الدولية فيما بين الدول لتحقيق هذه الأهداف وكسب التأييد الدولي.

٤ ـ في المجال الدولي والتغطية الشرعية الدولية: تم عقد اتفاقيتين سريتين في آذار ١٩١٦ م بين روسيا وبريطانيا وفرنسا «مؤتمر كامبل باترومن» ، وعام ١٩١٧ م في لندن تقرر فيها أن الخطر الذي يهدد الاستعمار الغربي من البحر المتوسط والذي يقيم على سواحله الشرقية الجنوبية هو شعب واحد يتميز بمقومات الوحدة والترابط[1].

* * *

(١) وكانت المقترحات: ١ ـ تجزئة المنطقة وتفكيكها بحاجز بشري قوي غريب (اليهود) يستعمله الغرب أداة في تحقيق أغراضه. ٢ ـ فصل الجزء الآسيوي عن الجزء الإفريقي في نقطة التقاء الجزأين (فلسطين).

المبحث الرابع

وعـــد بلفـــور

كما توجه هرتزل إلى بريطانيا ودرس الأمر مع وزير المستعمرات البريطاني «جوزيف شمبرلن» المتعاطف في ٢/١١/١٩١٧ م ، كما وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا بالنيابة عن حكومته وعداً إلى روتشيلر اللورد البريطاني المليارديرِ لإبلاغه إلى الحركة الصهيونية بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين[١] ، ووافقت عليه أمريكا عام ١٩١٧ م بعد فرنسا وبريطانيا .

ودخلت القوّات البريطانية فلسطين عام ١٩١٧ م لتسمح لليهود بالتدفق على فلسطين .

وفي شباط ١٩١٨ م أيدت فرنسا الوعد ، وأدخلت الوعد في صلب المعاهدة التي انبثقت عن مؤتمر سان ريمون الذي أسفر عن تقسيم بلاد العرب إلى دويلات تخضع كل منها لأنواع الحماية أو الانتداب أو الاستعمار .

---

(١) نص وعد بلفور : أن حكومة صاحب الجلالة الملك ينظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي ، وسنبذل قصارى جهدنا لتحقيق هذه الغاية على أن يفهم جلياً على أنه لا يؤتى بعمل يضر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف الغير يهودية المقيمة الآن بفلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلاد الأخرى .
وقد كتب بلفور نفسه إلى رئيس وزراء بريطانيا (لويد جورج) بعد توقيعه قائلاً : هذا الوعد يشتمل على نقطة ضعف أساسية وهي عدم مراعاة الحق الشرعي للفلسطينيين العرب في تقرير المصير ، ولو أننا أردنا سؤال العرب عن رأيهم في ذلك لما وجدنا أحداً من العرب المسلمين والمسيحيين يوافق على ذلك .
أما تشرشل فقد نقل الوعد من مشروع سكن وطني لليهود من غير إضرار بالحقوق العربية إلى مشروع إقامة دولة يهودية .

في عام ١٩١٩ م وقعت معاهدة باريس التي تقضي بإعطاء الحقوق السياسية في جميع البلدان الموقعة على المعاهدة لليهود ، وبذا تتدخل الدول الأوربية وجمعية الأمم المتحدة؛ لترغم أية دولة على احترام حقوق اليهود بل وإعطاء جميع الحقوق لليهود اللاجئين إليها.

في عام ١٩٢٠ م عينت بريطانيا اليهودي «هربرت صموئيل» مفوضاً سامياً لفلسطين لتنسيق أعمال اليهود ، حيث أحدثت الوكالة اليهودية وأشركتها في حكم البلاد «فلسطين» لتعاون في أعمال التوطين ، فتدفق المهاجرون. . . . وضاعت فلسطين.

كما شكلت بريطانيا في فلسطين قوة عسكرية يهودية لتتجسس لحسابها فكانت قوات «الهاغاناه» وأفراد التعاونيات في شرطة الإنذار ، وانخرط اليهود في الجيش البريطاني في فلسطين كمتطوعين بعدد ٢٠٠٠٠ يهودي.

يقول «بن غوريون»: ما كان بوسعنا الحصول على السلاح من الجيش البريطاني لو لم نلبس البزة العسكرية البريطانية.

وهكذا نجح اليهود في الحربين العالميتين الأولى والثانية باستمالة عطف بريطانيا وتسيير سياستها لمصلحتهم ، في حين كانت بريطانيا تعطي وعوداً للعرب المغفلين اللاهثين وراء السلطة دون أية ضمانات بل كلام لم يلبث أن تذهب به الرياح.

* ملاحظة: لا يتطلب من المهاجر المحتمل لأرض الميعاد أن يكون مؤمناً باليهودية أو يمارسها ، بل يكفي أن يثبت أنه من سلالة يهودية ولو كان ملحداً.

بدأ الاستيطان اليهودي عام ١٨٧٥م بشراء الأراضي الزراعية بثمن زهيد بسبب الضرائب ، والنزاعات العشائرية بين البدو والفلاحين ، والكوارث من تفشي الأمراض بدءاً من الجليل الأعلى ، وكانت المستوطنة الأولى لأحباء صهيون في (بتاح تكفا) ثم في (سهل الحولة) ، ومع الحرب الأولى انخفض السكان العرب من «٥٩٠ إلى ٥٦٥» ألفاً ، بينما اليهود زاد عددهم من ٨٣ ألفاً عام ١٩١٥ م وبدأت المواجهات بين السكان الذين رفضوا بيع الأراضي وأهل

المستوطنات ، ففي عام ١٩٢٢ م لقي ١٢٢ يهودياً مصرعهم وجرح الضعف ، ثم أصدر الانتداب البريطاني الكتاب الأبيض الذي حَدَّ من شراء الأراضي ، واعتباراً من عام ١٩٣٧ م صار طابع الاحتلال العسكري الأول للاستيطان «عن طريق الهاغاناه» ومنظمة الدفاع العبرية عن أرض إسرائيل ، فعند قيام الدولة كان هناك ٣٠٢ مستوطنة وبعد عشر سنوات زادت إلى ٣٧٢ مستوطنة وانقسمت إلى «كيبوتزات» زراعية وإلى «موشاتيم للعمال» يملك العضو منزلاً وقطعة أرض ، وبعد عام ١٩٦٧ م واحتلال الضفة الغربية وسيناء والجولان صارت المستوطنات عبئاً على التسويات.

* * *

المبحث الخامس

تعاريف

ـ الرؤيا الصهيونية للتاريخ: إن اليهود في حالة نفي قسرية منذ السبي ، وإنهم لو تُركوا وشأنهم لعادوا إلى فلسطين «نفي من فلسطين وعودة. . . ونفي من مصر وعودة لفلسطين ، وإلى بابل ثم عودة إلى فلسطين ثم تشرد في العالم وعودة نهائية إلى أرض الميعاد».

ـ وبعد إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين لم يهرع اليهود إليها مما اضطر «بن غوريون» رئيس الوكالة اليهودية «أن يصف الذين يحيون خارج الكيان حياة جسدية مريحة في المنفى «العالم» بأنهم معذبو الروح وهم الأغلبية العظمى.

ـ ظهر في الكيان الصهيوني جيل الصبرا: لا يفهم سايكولوجياً جيل المنفى ولا يكنُّ له احتراماً كبيراً «فهم جيل المولودين في فلسطين المحتلة لهم الوطنية الإسرائيلية بدلاً من القومية اليهودية».

العودة: هي عودة اليهود إلى فلسطين وقد يكون تحت قيادة الماشيخ ، أو يقوم بها اليهودي بإرادته ، ويشار إلى المنفى بالشتات ، وإلى الانتشار بالدياسبورا الإسرائيلية وهم المستوطنون الذين ينزحون عن إسرائيل ويستوطنون في الخارج «الولايات المتحدة الأمريكية» فهم ليسوا صهاينة استيطانيين إنما تخلوا عن أرض الميعاد ، وعددهم بين ١/٢ ـ ٣/٤ مليون يهودي.

الجماعات اليهودية الأساسية التي تؤمن باليهودية الحاخامية:

سفارديم+اشكناز أو اليهود الغربيون والشرقيون.

فرقة من اليهود تسمى الجليليين «نسبة إلى يهودا الجليلي»: تنادي بأنه ليس لليهود ملك إنما الملك لله.

ـ الحركة الصهيونية: وهي تقيم عقيدتها على جبل صهيون قرب القدس، وترى أن اليهود هم فائض بشري هامشي يمكن تحويله إلى عنصر نافع منتج، يمكن توظيفه بتحويله لمستوطنين يقومون بخدمة الاستعمار فيُنَحوا من خدمة ملك أو أمير إلى خدمة النظام الاستعماري العالمي.

ـ السامرة: هم الذين لم ينزحوا عن أرض فلسطين عند تدمير المملكة الشمالية، ويسمون أنفسهم بني إسرائيل، ومن صلب «نسل» يهودا، يقدمون قرابينهم على جبل «جيرزام»، كتابهم الأسفار الخمسة بالإضافة إلى سفر يوشع، ولا يعترفون بأنبياء اليهود ولا كتبهم وتختلف أسفارهم عن أسفار اليهود، ويخالفونهم بأعيادهم.

هناك رواية أن السامرة كانت تدفع الجزية للإمبراطورية الآشورية، ولمّا رفض هوشع المشرف على الموسويين أداء الجزية هاجم شيلمضر الخامس السامرة وحاصرها ثلاث سنين وأكمل فتحها خليفته سيرجوت عام ٨٢٢ ق.م، فأخذ أكثر من مئتين وخمسين ألف أسير إلى بلاد ماري، وأحلَّ محلهم سكان جلبهم من بلاد بابل وعيلام وسورية وأسكنهم السامرة، فاختلط هؤلاء مع الإسرائيليين «الموسويين» ونشأ ما يعرف بالسامريين الذين تختلف عقيدتهم عن اليهود.

ـ الحيديم: يهود متدينون متطرفون يعيشون حياة منعزلة عن اليهود الغير متدينين في سكنهم وأحيائهم، ولا يتزاوجون منهم والهوة بينهم تتسع، وأبرز قادتهم «شاخ»، وإن غير المتدينين آكلي لحوم الخنزير يختلفون عنهم بمفهوم «الهلوكوست» عقاب الله الذي نزل عليهم بسبب فسادهم، بينما يعتبر غير المتدينين ذلك حادثاً عارضاً، فعندما دمر الرومان المعبد وشردوهم وكذلك عندما أخرجوا من إسبانيا أو ما حصل في بولونيا «مذبحة عام ١٦٤٨» وكذلك ما جرى للهلوكوست على أيدي النازيين هو بسبب الصهاينة؛ لأنهم دعوا لإقامة

الدولة اليهودية وخالفوا الرب وعاقبهم ، ويقابل الهلوكوست مصطلح «خربان» الذي يعني التخريب والتهديم.

ـ الصاير: يهود من مواليد فلسطين «العائدين».

ـ صهيون: جبل جنوب غرب القدس يحج إليه اليهود هاتفين «رنِّموا للربّ الساكن في صهيون» ، ويتسع ليشمل الشعب اليهودي الذي يعيش في رحم القدس أو فلسطين.

ـ غوش أمونييم: حركة سياسية صهيونية تدعو لاستيطان اليهود في جميع أنحاء الضفة والقطاع وسائر الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ م ، انفصلوا عن حزب المندال «الوطني» ولهم معبد للدراسة التوراتية ، انتشرت تعاليمها في صفوف مستوطني الأرض المحتلة.

ـ غيتو: تعني أحياء اليهود في أوربا ، حيث بني أول غيتو في إيطاليا بالبندقية عام ١٥١٦.

ـ حائط المبكى: بني بعد تحريرهم من السبي بمعرفة الفرس المجوس. . . «وهل من بنى حائطاً في بلد ملك ذلك البلد؟!».

ـ اليهودي: تعريف قومي لكل يهودي ملحد أو مؤمن أو مرتد ، هو يهودي قبل كل شيء.

ـ العبرانية: تعني اللغة ـ والإسرائيلية: تعني القومية.

ـ السمسرة والمضاربات والأعمال الهامشية غير المنتجة ، والتسوّل:

إنّ قانون تحريم الاستيطان الذي فرض على اليهود في بلاد الغرب ، الذي يسمح لكل جماعة يهودية أن تمنع أي يهودي ينتمي إلى أي جماعة أخرى من الإقامة في مدينتها بضعة أيام وعليه أن يغادرها ، مما جعل اليهود ليس لهم حق السكن في أي مدينة أو قرية.

وهكذا فقد كان المجتمع اليهودي يتشكل من قاعدة عريضة من المعدمين «مصطلح شغور دليلاً على التسول» ، وفوقها طبقة من الحاخامات ، ثم

الممولين الكبار ، وفي القمة طبقة ثرية .

فالتسول مهنة يعمل بها اليهودي ليجمع أموالاً لتجارته ، أو عند إفلاسه ، أو ليزوج قريبة مفقرة ، ويتم هذا يوم السبت أمام المعبد وبلغة وكلمات معينة وأمكنة وأزمنة خاصة .

ومن هنا ظهرت فكرة التوطين ، إذ لم يكن الهدف من الاستيطان بفلسطين إلا باعتباره وسيلة للتخلص من جيوش المتسولين ، ولذا فأساس الدولة الصهيونية هو التسول على الغرب والعالم ، ويغلفون هذه الحقيقة بادّعاء أن المعونات «التسول» الغربية مقابل تنفيذ مصالح الغرب ، والغرب يعتبر الدولة الصهيونية «كلب حراسة» لتأمين مصالحه وأمن اقتصاده .

* * *